

الصراع العثماني الإسباني على البلاد التونسية وانتصاب الأتراك بتونس (1535 - 1574)

المادة: تاريخ وجغرافيا | الوحدة: التاريخ (الدرس الأول) | المستوى: السنة السادسة ابتدائي (تونس)



شكل 1: لوحة تاريخية حصرية توضح المواجهة البحرية الحاسمة بقلعة حلق الوادي وسواحل تونس (1574م)

أهداف الدرس التعليمية والتاريخية ◀

- تحديد الأسباب الجيوستراتيجية: فهم خلفيات التنافس العثماني الإسباني للسيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والبلاد التونسية
- تتبع المحطات الكبرى للصراع (1534 - 1574م): تحركات خير الدين بربروس (1534م)، احتلال شارلكان (1535م)، وحملة الفتح الحاسمة لـ سنان باشا (1574م)
- تحليل أسباب تدهور الدولة الحفصية: فهم أسباب عزز الحكم الحفصي وخطورة الاستنجد بالقوى الأجنبية
- استنتاج نتائج انتصاب الأتراك بتونس: التعرف على تحول تونس إلى إيالة عثمانية وهيكلية الإدارة الجديدة (الباشا، الآغا، الداوي، الباوي، والديوان)

أولاً: السياق الجيوسياسي والدوافع الاستراتيجية للصراع

شهد القرن السادس عشر الميلادي مواجهة تاريخية حاسمة وصراعاً بحرياً وسياسياً حاداً في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بين القوتين العظميين آنذاك: **الإمبراطورية العثمانية** الإسلامية الممتدة في الشرق والشمال الإفريقي، و**الإمبراطورية الإسبانية** الكاثوليكية المنتشية بسقوط غرناطة سنة 1492م وبداية الاكتشافات الجغرافية.

تجلت الأهمية الفائقة للبلاد التونسية في هذا الصراع المترامي الأطراف نظراً لموقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز في قلب البحر الأبيض المتوسط؛ حيث تمثل الجسر الطبيعي الرابط بين الشرق وغرب المتوسط، والمنفذ المباشر المأمون على مضيق صقلية والسواحل الإيطالية. جعل هذا الموقع الفريد من تونس مطعماً استراتيجياً لكلا الإمبراطوريتين للسيطرة على خطوط الملاحة البحرية والتجارة العالمية، وحماية الشواطئ والموانئ، والحد من نشاط القرصنة البحرية المتصاعدة.

ثانياً: أزمة الدولة الحفصية وتداعيات الاستنجد بالقوى الأجنبية

تزامن هذا التنافس الإمبراطوري الخارجي المحموم مع مرحلة ضعف شديد وأزمة شاملة مرت بها **الدولة الحفصية** بتونس؛ حيث عانت البلاد من عدة مظاهر تدهور داخلي، منها

- **الاستبداد المالي والمجبي:** إثقال كاهل السكّان والفلاحين بالضرائب الباهظة لتمويل البلاط الحفصي.
- **إهمال شؤون الرعية والحكم:** انشغال السلاطين الحفصيين (وعلى رأسهم السلطان الحسن الحفصي) بملذات السلطة وترك إدارة الدولة.
- **انفلات الأمن واستقلال الجهات:** خروج العديد من القبائل والمناطق الداخلية (مثل القيروان وباجة) عن طاعة السلطة المركزية الحفصية.

وأمام هذا العجز الداخلي الفادح، ارتكب السلطان الحفصي الحسن خطأً تاريخياً بالاستنجد بالإمبراطور الإسباني شارلكان لمواجهة العثمانيين، مما فسح المجال للتدخل الأجنبي المباشر وسلب السيادة الوطنية.

ثالثاً: المحطات الكبرى للصراع العثماني الإسباني بتونس (1534 - 1574م)

(أ) **دخول خير الدين بربروس الأول (1534م):** قاد خير الدين بربروس أسطولاً عثمانياً بطلب من أهالي البلاد ودخل تونس دون مقاومة، مطرداً السلطان الحفصي حسن. وأعلن خطبة الجمعة وسك العملة باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، أين أصبحت تونس لأول مرة تابعة للرعاية العثمانية.



شكل 2: وصول الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس إلى سواحل تونس سنة 1534م

(ب) حملة شارلكان واحتلال تونس (1535م): قاد إمبراطور إسبانيا شارلكان (شارل الخامس) أسطولاً ضخماً يضم 300 سفينة و30 ألف جندي بطلب من السلطان الحفصي الحسن. تمكن الإسبان من احتلال قلعة حلق الوادي ثم العاصمة تونس، وارتكبوا مجازر ونهباً واسعاً للمدينة، وفرضوا حماية إسبانية استبدادية. دامت 39 سنة (1535 - 1574م).

(ج) حملة سنان باشا والفتح العثماني النهائي (1574م): أرسل السلطان العثماني أسطولاً حاسماً بقيادة القائد سنان باشا. نزل الجيش العثماني بتونس وحاصر حصن "البستيون" المنيع بحلق الوادي، وتمكن من دكه وتفكيكه، مطرداً الإسبان والوجود الحفصي نهائياً ومؤسساً للإيالة العثمانية بتونس.



شكل 3: حصار سنان باشا لحصن البستيون بحلق الوادي والفتح العثماني الحاسم سنة 1574م

السنة	الحدث التاريخي	القائد الميداني	أبرز النتائج والتداعيات
1534م	دخول العثمانيين الأول	خير الدين بربروس	طرد السلطان الحفصي حسن وإعلان تبعية تونس للسلطان العثماني سليمان القانوني.
1535م	حملة شارلكان الإسبانية	الإمبراطور شارلكان	احتلال حلق الوادي والعاصمة تونس، وإرجاع السلطان الحفصي تحت الحماية الإسبانية (دامت 39 سنة).
1574م	حملة الفتح العثماني الحاسمة	سنان باشا	حصار ودك حصن البستيون، القضاء النهائي على الوجود الإسباني والحفصي، وتأسيس الإيالة العثمانية.

خامساً: نتائج انتصاب الأتراك وهيكلة نظام الحكم الجديد

تحولت تونس سنة 1574م إلى "إيالة عثمانية" (ولاية قائمة الذات تابعة للباب العالي بإسطنبول). وبغية تنظيم الإدارة وحماية الحدود، أقام سنان باشا نظاماً سياسياً وعسكرياً جديداً ارتكز على المؤسسات التالية:

- **الباشا:** ممثل السلطان العثماني بتونس وصاحب السلطة الشرفية والعليا في البلاد.
- **الآغا:** القائد الأعلى لجيش الإنكشارية (الفرقة العسكرية العثمانية النظامية).

- **الداي:** قائد عسكري ميداني يتولى حفظ الأمن الداخلي وتنفيذ الأحكام في المدن والقلاع
- **الباي:** القائد المكلف بجمع الضرائب وقيادة "المحلة" العسكرية الدورية في الجهات والقبائل
- **الديوان:** مجلس استشاري عسكري يضم كبار ضباط الإنكشارية للنظر في الشؤون الكبرى

سادساً: تمارين تقييمية ومبتكرة مع الحلول النموذجية

التمرين الأول: الترتيب الزمني والتفكير المنطقي ◀

رتب الأحداث التاريخية التالية من القديم إلى الحديث برسم أرقام من 1 إلى 3

حملة سنان باشا ودك حصن البستيون بحلق الوادي []

دخول خير الدين بربروس تونس وإعلان خطبة الجمعة باسم السلطان سليمان []

احتلال الإمبراطور شارلكان لمدينة تونس وحلق الوادي []

الإجابة النموذجية والتعليل ▶

1. دخول خير الدين بربروس (1534م) (1).

2. احتلال شارلكان لمدينة تونس (1535م) (2).

3. حملة سنان باشا والفتح العثماني (1574م) (3).

التعليل: تم الدخول العثماني الأول سنة 1534م، تلاه الرد الإسباني سنة 1535م، ثم الفتح العثماني النهائي سنة 1574م

التمرين الثاني: وضعية تقييمية ونقد تاريخي ◀

نص الوضعية: ادعى زميلك في القسم أن "استنجد السلطان الحفصي حسن بالإسبان سنة 1535م كان خياراً حكيماً لحماية تونس". ناقش هذا الرأي وبيّن خطأه بالاعتماد على حقائق الدرس

الإجابة النموذجية والتحليل ▶

هذا الادعاء خاطئ كلياً؛ لأن استنجد السلطان الحفصي بالملك الإسباني شارلكان تسبب في احتلال استعماري غاشم لقلعة حلق الوادي والعاصمة تونس، حيث ارتكب الإسبان مجازر ونهباً واسعاً، وفرضوا حماية أجنبية استبدادية دامت 39 سنة (1535 - 1574م). فالحفاظ على السيادة الوطنية يكون بالإصلاح والتلاحم الداخلي لا باستدعاء القوى الأجنبية

(SEO FAQ) سابعاً: أسئلة شائعة حول الدرس

س: كم دامت فترة الحماية والاحتلال الإسباني على البلاد التونسية؟

ج: دامت الحماية والسيادة الإسبانية على تونس 39 سنة (من سنة 1535م بعد حملة شارلكان حتى سنة 1574م تاريخ فتح سنان باشا)

س: ما هو حصن "البستيون" وما أهميته العسكرية في معركة 1574م؟

ج: البستيون هو الحصن العسكري المنيع الذي بناه الإسبان في حلق الوادي لحماية أسطولهم والسيطرة على المنفذ البحري لبحيرة تونس، وكان تحصينه ودماره أثناء حصار سنان باشا سنة 1574م المفتاح النهائي لتحرير تونس

س: ما الفرق بين مهام الداي والباي في التنظيم العثماني الأول؟

ج: الداي كان مقره المدينة وهو المسؤول الأول عن ضبط الأمن والمحاكم التنفيذية، بينما الباي كان مسؤولاً عن خروج المحلة العسكرية لجمع الضرائب وإقرار النظام في الجهات والقبائل الداخلية

ثامناً: خلاصة الدرس المركزة

شكل عام 1574م نقطة تحول مفصلية في تاريخ تونس الحديث؛ حيث أنهى الفتح العثماني بقيادة سنان باشا الوجود الإسباني والحكم الحفصي المتهالك، ودشن مرحلة جديدة أصبحت فيها تونس إيالة عثمانية قائمة الذات بمؤسساتها السياسية والعسكرية الخاصة، مما شكل النواة الإدارية الأولى لتشكيل الدولة التونسية الحديثة

taalimtn.com موقع التعليم التونسي

للمزيد من الملخصات والامتحانات والدروس التفاعلية للسنة السادسة ابتدائي بادر بزيارة موقعنا